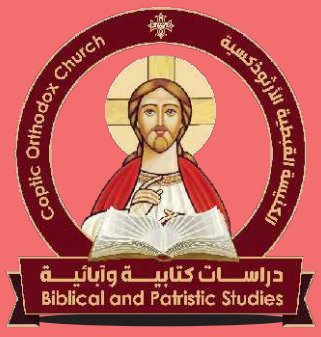

تسابيح وآحاد كيهك
واللقاء مع طفل المذود

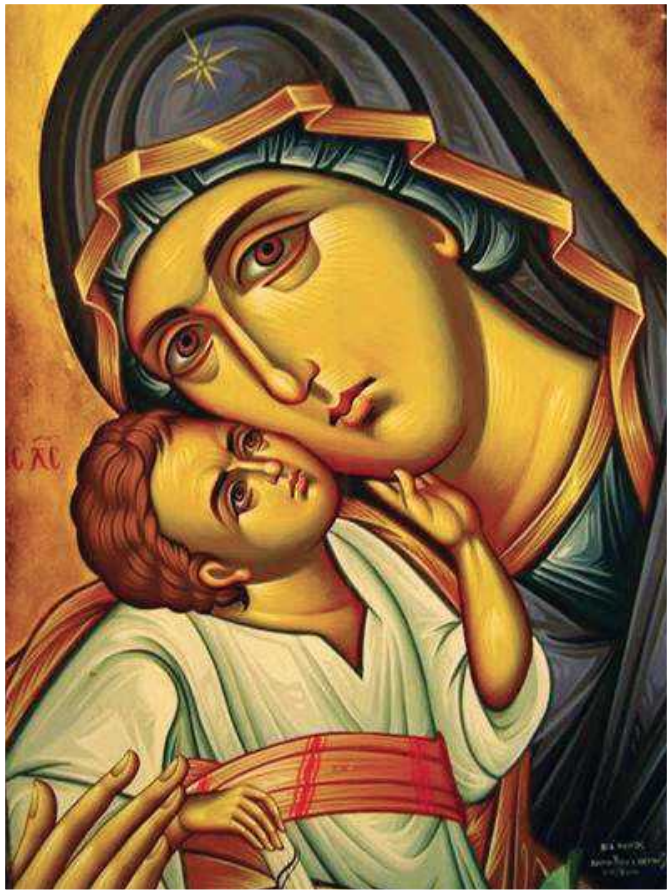

روحانية تسبحة شهر كيهك

"تسبحة سبعة وأربعة"

2020

القمص تادرس يعقوب ملطي

00

تسبحة "سبعة وأربعة" (تسبحة شهر كيهك)

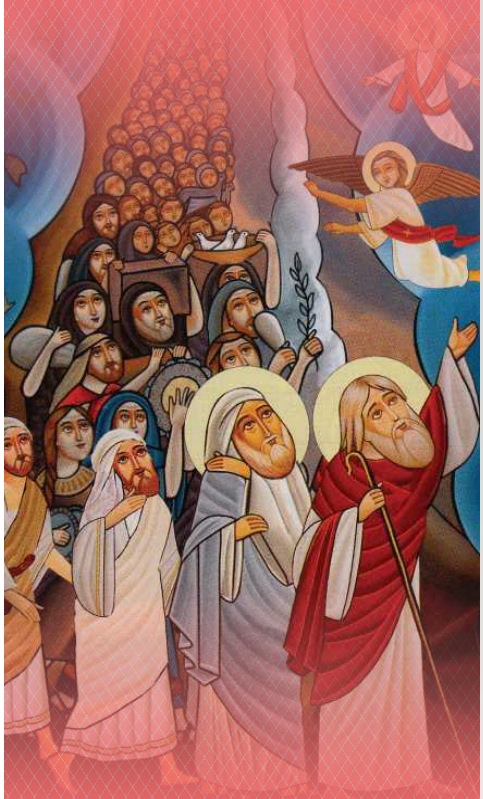

شهر كيهك هو شهر مقدس، تهتم به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بكونه شهر التسبيح الذي يُعدَّنا للاحتفال بعيد الميلاد المجيد (٢٩ كيهك)، له تسبحة خاصة تعيشها الكنيسة بلحن كيهكي خاص، ليشعر المؤمنون كأنهم في السماء يشاركون الملائكة تسبيحاتهم.

يطلق على هذه التسبحة سبعة وأربعة، وهي جميلة روحيًا ولحنًا وتملأ القلوب بهجةً وفرحًا. سُميت كذلك لأنها تضم في تسبحة آحاد كيهك السبع ثيؤطوكيات (تطويب لوالدة الإله) المختلفة لسبعة أيام الأسبوع، والأربعة هوسات (التسابيح) اليومية مع قطعها الكيهكية، وتقال كلها في ليلة واحدة. والأصل هو توزيعها على أيام الأسبوع، كما كان متبعًا في القديم، وكما هو متبع الآن في الأديرة وبعض الكنائس.

السبعة: هي السبع "ثيؤطوكيات"، وهي جمع لكلمة (ثيؤطوكية)، وهي كلمة مشتقة من كلمة ثيؤتوكوس اللقب الخاص بالعذراء مريم، ويعني "والدة الإله،" لتأكيد أن المولود منها هو كلمة الله المتجسد. كما تتكون من سبع إبصاليات (تراتيل لربنا يسوع)، مع مدائحها وطروحاتها.

الأربعة: هي الأربعة "هوسات" جمع كلمة "هوس"، وهي كلمة قبطية معناها "تسبيح". يُقَال قبل الهوس إبصالية ثم يُقرأ بعده الطرح أو التفسير. يُلاحَظ أن نغمة الإبصالية الآدام في شهر كيهك تكون على وزن مديح الأنبا أنطونيوس "في كنيسة الأبكار"، أما نغمة الإبصالية الواطس فعلى وزن "العليقة التي رآها موسى. إبصاليات الهوس الأول والثاني والرابع بنغمة آدام، وإبصاليات الهوس الثالث بنغمة واطس.

قوموا يا بني النور:

تبدأ التسبحة بلحن نُصليه يوميًا. وهو لحن "تين ثينو،" ومعناه: "قوموا يا بني النور لنسبح رب القوات". وهنا نجد الكنيسة تحثنا على السهر، الذي هو تعبير عن الوقوف في نور السيد المسيح، لنسبح رب القوات، لأن بنوره نعاين النور. وهنا ينطبق قول بولس الرسول: "جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ. فَلاَ نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحو.. فَلْنَصْحو لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ" (١ تس ٥: ٤-٨).

ويليه الأربعة هوسات وهم:

الهوس الأول: وهو عبارة عن تسبحة موسي النبي والشعب كله بعد عبور البحر الأحمر (خروج ١٥). ترمز هذه التسبحة لتسبحة المفديين في السماء، إذ خلصهم الله وعبر بهم من العالم إلى السماء. وضعتها الكنيسة في التسبحة اليومية بكونها "الهوس الأول"، لتؤكد

Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

لأولادها ضرورة التسبيح لله وتقديم الشكر المستمر من أجل عمله الخلاصي معنا، إذ يهبنا غلبة يومية على إبليس وجنوده، ليس بذراعنا البشري، وإنما خلال عمل نعمته فينا. ويلاحظ أن موسى والشعب لم ينطقوا بالتسبيح إلاَّ بعد ما اعتمدوا بعبورهم البحر الأحمر ورأوا خلاص الله العجيب. هكذا بالمعمودية إذ نُدفن مع مسيحنا المصلوب ونقوم معه في جدة الحياة، ينفتح لساننا الداخلي لنسبِّح للرب ونشكره.

إنها تسبحة عذبة يترنم بها المسيحي كل يومٍ حين يرى الخطية تسقط بالصليب تحت قدميه، وكما يقول القديس أثناسيوس الرسولي: [لنغني مع موسى... ونسبح مرتلين، إذ نرى الخطية التي فينا قد طُرحت في البحر، أما نحن فنعبر إلى البرية[1].

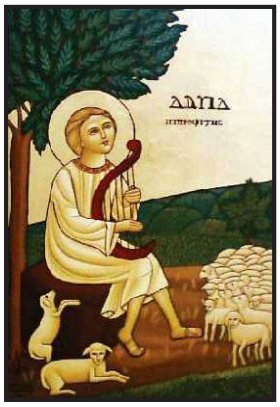

الهوس الثاني: هو مزمور ١٣٥ الترجمة السبعينية (١٣٦) اشكروا الرب، وهو تسبحة الشكر الذي تقدمه الكنيسة لله من أجل محبته الذي أنقذنا ويقوينا. اعتادت الكنيسة الأولى الصلاة بهذا المزمور، ولا تزال تسبح به الكنيسة في التسبحة اليومية. فقد جاء في سيرة البابا أثناسيوس الرسولي إذ كان الشعب يقضي سهرة في الصلاة والتسبيح تحت قيادة البابا، حاصر الجند الكنيسة، وقاموا بالهجوم عليها، لكن الشعب كان يردد هذا المزمور بصوتٍ كالرعد، مكررين "لأن إلى الأبد رحمته" ٢٦ مرة. بقي البابا على كرسيه حتى انصرف الشعب، واختفى البابا وسط الظلام، ولجأ إلى أصدقائه دون أن يصيبه ضرر، يرى الدارسون للتلمود أن تكرار العبارة "لأن إلى الأبد رحمته" ٢٦ مرة في هذا المزمور يطابق الـ ٢٦ جيلاً من الخليقة إلى استلام الشريعة في سيناء[2]

تتجلّى رحمة الله في الآتي:

أ. إنه الإله الفريد العجيب [١-٣]

ب. خالق كل شيءٍ من أجل الإنسان [٤-٩]

ج. المعتني بمؤمنيه بيدٍ شديدةٍ [١٠-٢٤]. واهب النصرة على قوات الظلمة؛ وهو في السماء مشغول بنا ونحن بعد على الأرض

د. رعايته تحتضن الأرض والسماء [٢٥-٢٦]، إذ هو محب لكل خليقته، خاصة العاقلة

الهوس الثالث: وهو تسبحة الثلاثة فتية القديسين وهي تتلخص بأن الملك أمر بإلقاء الثلاثة فتية في أتون النار ورغم أن النار لم تنطفئ لكنها لم تمسهم بأية أذية، وردت في تتمة دانيال (الترجمة السبعينية). تترنم الكنيسة بتسبحة الثلاثة فتية القديسين في سهرة سبعة وأربعة وفي سهرة سبت النور بل وفي كل يومٍ. يترفق الله بخليقته على الدوام بالرغم من وجودها في أتون الضيق. إنها تسبح مخلصها أو يسوعها الذي يتجلى فيها، ويحلّ قيودها كما فعل بهؤلاء الفتية؛ وعوض هلاكهم يتمجدون (راجع سيرة هؤلاء الفتية في سفر دانيال)

تعلن لنا هذه التسبحة المعاني الروحية السامية وهي:

أن السلام الداخلي لا يُعني زوال التجارب والآلام عنا. لكنه يعني وجود الله معنا في وسط نيران العالم. فمفهوم التجربة في المسيحية هي أنها لا تُحل بزوالها، ولكن باجتياز الرب معنا في هذه التجربة، وبحمله الصليب معنا، أي الوجود الدائم معنا فالشهيد اسطفانوس كان يُرجم بالحجارة وعظامه تتفتت، ولحم جسمه يتهرأ من الحجارة. لكنه كان يرى ابن الإنسان قائمًا عن يمين العظمة. فكان شاخصًا إلى السماء، ولا يبالي بالحجارة ولا بالراجمين.

---

[1] رسائل القيامة

[2] Rabbai Avrohom Chaim Feueur,Tehillim,Psalms - A New Translation with a Commentary Anthologized from Talmudic, Midrashic and Mesorrah Publications Ltd., 1985, p.1607.

نار العالم لازمة لتجربة الكنيسة. (الكنيسة كجماعة ونحن كأشخاص في هذه الجماعة)، ولكن الله الرؤوف الحنون واقف في وسط هذا الأتون (التجارب القاسية)، فيحول النار إلى ندى بارد.

هذه التسبحة تجمع في مشهد واحد وجودها في الحاضر الزمني المؤلم (الأتون)، ووجودها في الأبدية السعيدة (ابن الله الموجود في الآتون). "الخَروفَ الذي في وسطِ العَرشِ يَرعاهُمْ" (رؤ ٧: ١٧). فهي في نار العالم وفي نفس الوقت في حضرة الله وتتمتع بعربون السعادة الأبدية.

الهوس الرابع: وهو عبارة عن كلمات المزامير الثلاثة (١٤٨، ١٤٩، ١٥٠) وكلها عن التسبيح، والتسبيح هو عمل الملائكة وعمل الكنيسة الدائم في السماء، وعمل قديسيه، والخليقة الحيوانية والنباتية والمادية، ويتمجد الله في صورة منقطعة النظير في قديسيه، فنقول: "سبحوا الله في جميع قديسيه".

تهتم البشرية بإقامة خوارس أو فرق للأغاني سواء في العالم أو في المجتمعات الدينية. لكننا لم نسمع عن خورس يُدعى للتسبيح كذاك الوارد في المزمور ١٤٨. يضم هذا الخورس الخليقة العاقلة التي تتقي الله، وأيضًا غير العاقلة، بل والجامدة؛ يضم صفوفًا غير محصاة. الكل يشعرون بالدين للخالق المعتني بهم، والكل يعلنون عن إعجابهم وحبهم لهذا الخالق العجيب .

يكشف لنا هذا المزمور التزام الكل بتمجيد الله، كل كائن حسب إمكانياته وقدراته ومواهبه. فالسمائيون والطغمات المسائية يشهدون له بحياتهم السماوية المقدسة المتهللة. والشمس تشهد لله ببهاء أشعتها، كما بحرارتها لخدمة النباتات والحيوانات والإنسان الخ. والقمر بنوره البهي يخدمنا بالليل، والكواكب بجمال منظرها تشهد لعمل الله الفنان الأعظم. هذا من الظاهر، أما ما خفي فهو أعظم. إذ يتذوق المرتل عذوبة التسبيح، يدعو كل الخليقة السماوية والأرضية للتسبيح:

أ. السماوات [١-٦] يبدأ بالملائكة، فالأجسام السماوية، ثم السحاب .

ب. الأرض [٧-١٠] سواء أعماق البحار والمحيطات أو أعالي الجبال أو الرياح والأشجار المثمرة .

ج. البشرية خُلق البشر على صورة الله – الرجال والنساء – لذا يلزمهم أن يسبحوا لله أكثر من الكل!

إذ نتمتع بالخلاص؛ ندرك بالأكثر محبة الله الفائقة لنا، فنسبحه بالأكثر .

في المزمور ١٤٩، إذ يرى المرتل كلمة الله قادمًا للخلاص، يدعو كنيسة العهد الجديد لتسبح بأغنية جديدة، حيث يتناغم العقل مع القلب وتصير جماعة خائفي الرب طغمة متهللة ومسبحة، تعزف بآلات موسيقية ليست من الخارج، وإنما يتحول الإنسان نفسه إلى قيثارة روحية يعزف عليها روح الله القدوس .

أ. نسبحه في بيت الرب [١-٤]. فالتسبيح يرضي الرب، ويعطي لشعبه جمالاً [٤؛ مز ١٤٧: ١].

ب. يلزمنا أن نسبحه في البيت [٥]. حتى ونحن نيام، وعند الاستيقاظ، وأثناء المرض .

ج. نسبحه في ميدان الحرب الروحية [٦-٩]. كلمة الله سيْفنا (أف ٦: ١٧؛ عب ٤-١٢). والتسبيح هو سلاح عجيب للنصرة على العدو.

المزمور ١٥٠ هو دعوة لتسبيح الرب. استخدمت كلمة "تسبيح" هنا ١٣ مرة .

أ. أين نسبح الله؟ على المستوى المحلي والمسكوني، في الهيكل وفي السماوات [١]، أينما وُجدنا .

ب. لماذا نسبحه؟ من أجل أعماله معنا، ولأجل شخصه. كلما تعرفنا عليه نستعذب تسبيحه .

ج. كيف نسبحه؟ بالصوت (الفم) كما بالآلات الموسيقية التي تشير إلى أعضائنا، بل وإلى كل كياننا الجسدي والروحي .

د. من الذين يسبحونه؟ كل كائن يتنسم نسمة [٦]، كل المخلوقات (١٤٨: ٧-٩). وبالتالي يلزمنا نحن البشر أن نسبحه .

النَفَسْ هو أضعف شيء فينا، لكننا نستطيع أن نكرسه لأعظم عمل نقدمه، وهو التسبيح لله.

فسّر القدّيس إكليمنضس السكندري المزمور ١٥٠ الذي تسبحه الكنيسة أثناء التناول من الأسرار المقدسة بطريقة رمزية جميلة، فيها قدّم الكنيسة المقامة بعريسها القائم من الأموات، كأداة موسيقيّة حيّة، يعزف عليها الروح القدس ليُخرج تسبحة حب عذبة. يقول: في الخدمة الإلهيّة يترنم الروح

سبّحوه بصوت البوق، لأن بصوت البوق يقيم الأموات

سبّحوه بالمزمار، فإن اللسان هو مزمار الرب

سبّحوه بالقيثارة، هنا يقصد الفم الذي يحرّكه الروح كالوتر

سبّحوه بطبولٍ ورقص، مشيرًا إلى الكنيسة التي تتأمّل القيامة من الأموات، خلال وقع الضرب على الجلود إشارة إلى الأموات

سبّحوه بالأوتار والأرغن، يدعو جسدنا أرغنًا، وأعصابه الأوتار التي يضرب عليها الروح، فتعطي أصوات بشريّة منسجمة

سبّحوه بصنوجٍ حسنة الصوت يدعو اللسان صنجًا، إذ يعطي الصوت خلال الشفتين

لذلك يصرخ إلى البشريّة قائلاً: "كل نسمة فلتسبح اسم الرب"، لأنه يعتني بكل مخلوق يتنفّس. حقًا إن الإنسان هو آلة السلام[3]

القمص تادرس يعقوب ملطي

كيهك ١٧٣٧ش

[3] Paedagogus 2:4